مصادر التأصيل لفن المقامة في النثر الجزائري

The Sources of rooting for the art of Maqama in Algerian prose

د. شميسة خلوي [1,*]

[1] جامعة الجزائر2، (الجزائر) soumicha.khaloui@univ-alger2.dz

تاريخ الإيداع: 2021/08/10 **تاريخ المراجعة**:2021/09/22 **تاريخ النشر**: 2021/12/30

ملخص:

تهدف هذه الورقة البحثية إلى الحديث عن مصادر التأصيل لفن المقامة في النثر الجزائري، حيث نجد في أدبنا العربي القديم كُتَّاب لمقامات حازوا قصب السبق في وضع الأسس الأولى لفن المقامة الأدبية الجزائرية، فكانت لهم في المنجز السردي المزية الظاهرة، وقد مهدوا لظهور المقامات في الأدب الجزائري الحديث، وهذا يدل على انتعاش الحركة الثقافية في الجزائر قديما وحديثا.

وعليه، سنعرض لمختلف المقاميين الجزائريين الذين اختصوا بكتابة المقامة في الأدب الجزائري القديم، معتمدين خطا بحثيا منطقيا، حيث نعرِّف بالأديب ثم نعرض لمقاماته ذاكرين أهم مميزاتها، وتكون بذلك مصدرا لمعرفة مرجعية فن المقامة في النثر الجزائري.

الكلماتالمفتاحية: التأصيل، المقامة، الأدب الجزائري القديم، النثر.

Abstract:

This research paper aims to talk about the sources of rooting for the art of maqamah in Algerian prose, where we find in our ancient Arabic literature writers of maqamat who laid the first foundations of the literary maqamat art, paving the way for the emergence of maqamat in modern Algerian literature, and this indicates the revival of the cultural movement in Algeria, ancient and modern.

Accordingly, we will present to the various Algerian maqammas who specialized in writing the maqama in ancient Algerian literature. We know the author, then we will present his maqamat, mentioning its most important features, and thus be a source for knowing the rooting of the art of maqamah in Algerian prose.

***Key words**:therooting, maqama, ancient algerian literature, the prose.*

* المؤلف المراسل

تقديم:

لقد شهدت الجزائر حركة ثقافية متميزة عبر مختلف الحقب التاريخية التي مرت بها، فإن تحدثنا عن الأدب سواء المنظوم منه أو المنثور، فإنه لا يزال في أغلبه لم ينل ما يستحقه من عناية الباحثين، فقد لقي هذا الجانب من الأدب العربي من الإهمال الشيء الكثير، وكأنه أريد له أن يظل طيّ النسيان غائبا عن أذهان القُرّاء، بعيدا عن رُفوف المكتبات، على الرغم من وجود تجارب إبداعية جديرة بالدراسة، ومنها ما يعدُّ تأصيلا لما أتى بعدها من أجناس أدبية مختلفة.

وفي هذا الإطار، سنحاول التركيز على مصادر التأصيل للمقامة الأدبية في النثر الجزائري، حيث نلفيونحن نتفحص الأدب العربي القديم في الجزائر كُتَّاباوضعوا الأسس الأولى لفن المقامة، على شاكلة ابن محرز الوهراني (ت: 575ه) في مقاماته الثلاث ضمن مجموع أعماله منامات الوهراني ومقاماته ورسائله، وابن ميمون الجزائري (ت: بعد 1120ه) الذي ألَّف ست عشرة مقامة في مصنفه: التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، ثم أحمد البوني (ت: 1139ه) في مقامته الأدبية، وكذا عبد الرزاق ابن حمادوش الجزائري (ت: 1197ه) في مقاماته الثلاث المثبتة ضمن رحلته، إضافة إلى الأمير عبد القادر الجزائري (ت: 1123ه) في مقامته التي أدرجها في كتابه المواقف في التصوف والوعظ والإرشاد، وصولا لتجربة العلامة محمد بن عبد الرحمن الديسي (ت: 1339ه) في المناظرة بين العلم والجهل التي امتطت شكل المقامة.

هذه الإبداعات أصَّلت كلها لفن المقامة الذي انتعش في القرن العشرين بالمقامات التي سطرها مجموعة من فحول الأدب الجزائري الحديث وعلى رأسهم محمد صالح خبشاش (ت: 1358ه) ومحمد البشير الإبراهيمي (ت: 1385ه).

أولا: فن المقامة الأدبية (سؤال المصطلح والنشأة)

لعل حديثا مختصرا عن فن المقامة يكون مناسبا قبل عرض النماذج البحثية، فأما المقامة والمقام لغةفتعني المجلس، ومقامات الناس: مجالسهم[1]، وقد تطور هذا المعنى اللغوي إلى أن أصبحت المقامة تفيد في معناها الاصطلاحي[2] أحاديث تُلقى في جماعات على شكل قصص قصيرة ليس فيها عقدة ولا حبكة، تحوي مجاميع من أساليب اللغة العربية المنمَّقة المختلفة التي تأتي عادة بتكلف، يسودها شبه حوار درامي، وتحتوي على مغامرات يرويها راو عن بطل.

على أن بديع الزمان الهمذاني (ت: 395ه) هو أول من أعطى للمقامة معناها الاصطلاحي، في مفهومها الفني، إذ من المتفق أنه هو الذي صاغ المقامات بشكلها النهائي المعروف لديناوهي حصيلة لتجارب متواصلة[3]، كانت ثمرتها أربعمائة مقامة[4]، لم يصلنا منها سوى اثنين وخمسين مقامة[5].

وتعدُّ مقاماته من «الوثائق التاريخية التي تعطينا فكرة صريحة عن الحياة الاجتماعية في زمانه وأحوال العصر وأخلاق الرجال»[6]، وبعدها حاكاه مجموعة من الأدباء وعلى رأسهم أبو محمد القاسم بن علي الحريري (516ه) وغيره.

ثانيا: المقامات التي أصَّلت لفن المقامة في الأدب الجزائري القديم

فيما يلي حديث عن الأدباء الذين أصَّلوا لفن المقامة في أدبنا العربي القديم، ملتزمين في عرضهم بالتسلسل التاريخي من الأقدم للأحدث، في فترة امتدت ما بين القرن (6هـ) و(13هـ) الموافق للقرن (12م) و(18م):

1. **ابن محرز الوهراني (ت: 575هـ)**

أ. **ترجمته:**

هو أبو عبد الله بن محمد بن محرز الوهراني أديب جزائري، عاش في القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي)، المظان التي رجعنا إليها[7] سكتت عن تدوين تاريخ محدد لولادته، إذ تذهب بعضها[8] إلى أنه ولد على الأرجح في عهد الدولة المرابطية في بداية القرن السادس الهجري، بمدينة وهران إحدى مدن الجزائر.

لقد عاش الوهراني بموطنه الأصلي تحت سلطة الدولة، ثم شهد الوهراني سقوط هذه الدولة واستيلاء الموحدين على عرشها، وفي هذا الظرف السياسي تعلم الوهراني ودرس مختلف العلوم الإسلامية واللّغوية، لكننا لا ندري إن كان قد تنقل عبر حواضر المغرب الإسلامي للتتلمذ على يد المشايخ أم أنه اكتفى بالدراسة في وهران، نظرا لكون المصادر التي ترجمت له لم تتحدث عن ذلك، كما أن آثاره التي خلّفها لم تُشر إلى ذلك أيضا.

ويبدو أن الوهراني كان يسمو إلى المعالي لقدرته على الإنشاء والكتابة الديوانية، لكنه لم يجد سبيلا إليها بموطنه الأصلي وهران ولا في بلدان المغرب الإسلامي الأخرى خلال عهد الموحدين، فعزم على التوجه إلى المشرق العربي الإسلامي، فقصد القاهرة بالديار المصرية على عهد الدولة الفاطمية، لأن القاهرة آنذاك كانت تنافس بغداد وقرطبة في العلم واجتلاب العلماء والأدباء، وبالديار المصرية، شهد الوهراني سقوط الدولة الفاطمية وقيام الدولة الأيوبية، وكان الأدب من جملة ما اهتم به الأيوبيون فانتعش على أيامها، وتبوأ فيه الأدباء مكانة مميزة في بلاط الحُكم، فوقف الوهراني على وجود فطاحل الكتاب والبلغاء، ومن أبرزهم القاضي الفاضل (ت: 596 هـ) والعماد الأصبهاني الكاتب (ت: 597 هـ) وغيرهم من رجال الفكر.

طمح الوهراني إلى الالتحاق بديوان الإنشاء، لكن حِيل بين الوهراني وبين ذلك، حينها علم أنه لن يتمكن من منافستهم ومناهاتهم، وإلى هذا أشار ابن خلكان في ترجمته للوهراني بقوله «علم من نفسه أنه ليس من طبقتهم ولا تتفق سلعته مع وجودهم فعدل عن طريق الجِدّ وسلك طريق الهزل»[9]ثم استقر رأي الوهراني على مغادرة مصر.

إلى هنا سكتت التراجم التي أرّخت للوهراني عن سفراته لبلدان أخرى، حتى اتخذ من دمشق دارا وكان قد استوطنها على أيام صلاح الدين الأيوبي، ليستقر أخيرا في قرية على باب دمشق تُدعى داريّا، عُيّن خطيبا في مسجدها لضمان مورد عيشه من جهة، وتجنبا لسلاطة لسانه وسخريته اللاذعة من جهة أخرى، حتى توفي بها سنة خمس وسبعين وخمسمائة للهجرة (575 هـ) الموافق لسنة ألف ومائة وتسعة وسبعين للميلاد (1179م)، ودُفن أبو عبد الله بن محمد بن محرز الوهراني -رحمه الله– على باب تربة الشيخ الداراني[10].

ب. **مقامات ابن محرز الوهراني**

لقد خلَّف ابن محرز الوهراني منامات ومقامات ورسائل جمعها وحققها كلها ووضعها تحت عنوان "منامات الوهراني ومقاماته ورسائله"، كل من الأستاذين إبراهيم شعلان ومحمد نغش العام 1968م.

والذي يهمنا ونحن نتحدث عن تأصيل فن المقامة في أدبنا العربي الجزائري القديم، هو رصيد الوهراني من هذا الفن النثري، والذي كان ثلاث مقامات، كتب الأولى في بغداد[11] والثانية في صقلية[12]والثالثة[13]في شمس الخلافة[14].

فأما مقامته البغدادية فحاول الوهراني من خلالها سرد بعض المسائل السياسية المتعلقة بمجال الحكم والحكام، كتحدثه عن سيرة عبد المؤمن بن علي وآل أيوب، أما مقامته الثانية في شمس الخلافة فتدرج ضمن إطار النقد الاجتماعي، إذ أزاح الستار عن ظاهرة الإخلال بالقيم الدينية والاجتماعية القويمة، والمتمثلة في ادّعاء الكثير من الناس التفقه في الدين من غير علم، وقد جعل الوهراني من شمس الخلافة رمزا حيا لهذا النوع من الناس، بينما حاول الوهراني في مقامته الثالثة والمسماة المقامة الصقلية مدح رجال معينين في أحد المجالس.

وعن منامات الوهراني ومقاماته ورسائله يقول عبد العزيز الأهواني أثناء تقديمهلهذا العمل الأدبي بعد تحقيقه: «هذه المجموعة من النصوص تمتاز في تاريخ النثر الفني في الأدب العربي، بميزات ترفعها إلى مقام عال (...) وأسلوبه يضيف للنثر العربي ثروة و يفتح للدارسين آفاقا»[15].

وفيما يلي نماذج من مقامات الوهراني:

«قال الوهراني: لما تعذرت مآربي، واضطربت مغاربي، ألقيت حبلي على غاربي، وجعلت مذهبات الشعر بضاعتي، ومن أخلاق الأدب رضاعتي، فما مررت بأمير إلا حللت ساحته، واستمطرت راحته، ولا وزير إلا قرعت بابه وطلبت ثوابه (...) فتقلبت بي الأعصار وتقاذفت بي الأمصار حتى قربت من العراق وسئمت من الفراق فقصدت مدينة السلام»[16].

إلى أن دخلت في هذ الأوان إلى جلال الدين صاحب الديوان فرأيت شخصا كثير الإنصاف كامل الأوصاف:

وَلَيْسَ عَلَى اَللَّهِ بِمُسْتَنْكِرٍ * * * أَنْ يَجْمَعَ اَلْعَالَمَ فِي وَاحِدٍ

فأغناني بخيره وأمدني بميره، ولم يحوجني إلى غيره»[17].

ويقول في مقامته في شمس الخلافة: «حدثنا عيسى بن حماد الصقلي قال: لما اختل في صقلية الإسلام، وضعف بها دين محمد عليهالسلام، هاجرت إلى الشام بأهلي وجعلت جلَّق محط رحلي، فدخلتها بعد معاناة الضر، ومكابدة العيش المر»[18].

وفي المثالين السابقين غنى عن تتبع الأحداث ورصد الأمثلة، ونختصر ميزات مقامات الوهراني بقولنا: إنها بالصفة التي جاءت بها لم تكن سابقة في الأدب العربي ولكنها تتناص تناصا مباشرا مع مقامات الهمذاني،وتعد طريقته في كتابة مقاماته أكثر سيطرة على باقي الخطط والطرق الفنية الأخرى، وليس أدل على ذلك من وجود الكثير من «الكتاب المقاميين الذين سلكوا خطة البديع خلال أطوار مختلفة من حياة تطور فن المقامة»[19]فاتخذوها بذلك مِنْوالا ينسجون عليه.

كما إنها تؤصل لفن المقامة في الأدب العربي القديم في الجزائر كأول مصدر -على حد علمنا وبحثنا-، حيث للوهراني في هذا المقام القدم السابقة.

2. ابن ميمون (ت: 1120هـ)

أ. ترجمته

إشاراتٌ متفرقة بين طيات بعض الكتب تلك التي ألفيناها تتحدث عن سيرة ابن ميمون، وعلى العموم فأديبنا هو[20]، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن ميمون الزواوي النجار الجزائري الدار المشهور بابن ميمون الجزائري، سكتت المظان التي رجعنا إليها عن ذكر تاريخ ولادته ووفاته، يقول أبو القاسم سعد الله:«وإذا كنا حتى الآن لا نعرف تاريخ ميلاد ابن ميمون فإننا لا نعرف تاريخ وفاته»[21]، وهذا يجعلنا نأسف على ضياع تاريخ هذا الرجل الذي أبدع في العهد العثماني.

اشتغل ابن ميمون بالقضاء، وكانت له مكانته السامية بين أقرانه، واشتهر بكتابته للتحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية[22] الذي امتدح فيها الداي محمد بكداش، وكان ينظم الشعر بين الحين والآخر، ومن نماذج ما نظمه قوله مخاطبا صديقه المفتي بن علي بعد أن اكتوى قلبه بنار الحب والهيام:

أَمْنٌ فَتَكَ ذَاتَ اَلْقَلْبِ لِلْقَلْبِ حَاجِبُ * * * وَأَسْهُمُهَا اَلْأَلْحَاظْ وَالْقَوْسُ حَاجِبُ [23]

ب. مقامات ابن ميمون

هي (16) مقامة، أدبية المبنى واقعية المعنى، مرتبة ترتيبا تاريخا، تعبر عن حقائق تاريخية شاهدها الكاتب وعاينها، سردا مرصعا بـ (795) بيتا شعريا، وعليه تعد هذه المقامات تأريخا لسيرة قاهر الإسبان معيد وهران لحماها محمد بكداش، ولا خلاف في أنه من المصادر الهامة للأدب العربي الجزائري على عهد الأتراك.

يقول ابن ميمون مفتتحا مقامته الأولى: «نحمدك يا من جعل الأدب ريحانة للشم، وقلد أجياد البلغاء قلائد العقيان، في النثر والنظم، ونشكرك على ما أوليتنا منا لمنتح، وعلى ما كان مبهما فانفتح»[24]، إلى أن يقول:«وبعد: فإني لما رأيت مولانا الإمام، الذي أنام في ظل الأمان جميع النام، عالم الأمراء وأمير العلماء، مولانا فخر الدولة العثمانية وناشر لواء العدل على جميع البرية، أبو النصر السيد محمد بكداش أنارت أنواره جميع البلدان...»[25].

ولعل أهم ميزتين للتحفة المرضية على وجه العموم هو اتسامها بالطابع التاريخي إذ يعد «عمله أقرب إلى التاريخ منه إلى الأدب»[26]، ناهيك عن ظهور الأثر البديعي في مقامات ابن ميمون.

3. أحمد البوني (ت: 1139هـ)

أ. ترجمته

هو[27] أحمد بن قاسم بن محمد ساسي البوني، من مواليد مدينة عنابة العام 1063هـ، المتوفى العام 1139هـ، عالم فقيه من أسرة جمعت بين العلم والصلاح وسيطرت روحيا على عنابة ونواحيها مدة طويلة بلغت القرنين تقريبا.

سلك طريق العلم بمسقط رأسه، ثم اتجه نحو تونس فالحجاز فمصر، وله إجازات بعض العلماء، له من التصانيف الكثير، ففي الحديث والسنة النبوية عموما ما يلي: "نظم الخصائص النبوية"، و"إظهار نفائس ادخاري المهيآت لختم كتاب البخاري"، و"تنوير السريرة بذكر أعظم سيرة" و"نفح الروانيد بذكر بعض المهم من الأسانيد"و"رحلة حجازية" ما تزال مفقودة سماها "الروضة الشهية في الرحلة الحجازية"، وغيرها.

ب. مقامة البوني

كتب البوني مقامتهالعام1006هـ، تدور فحواها حول علاقة العلماء بالسلطة والاستنجاد بصديقه مصطفى العنابي، وبثه له ما حدث من وشايات، شخصياتها من الواقع، وتقع المقامة في أربع صفحات.

وهذا مقتطف مما ورد في مقامته: «بينما نحن في عيش ظله وريف، وفي أهنى لذة بقراءة العلم الشريف، وفي صفاء من الأكدار، وهناء من صروف الأقدار، إذ سعى في تشتيت أحوالنا وقلوبنا، وهتك أستارنا وعيوبنا، من لا يخاف الله ولا يتقيه، فرمى كل صالح وفقيه، بما هو لاقيه...»[28].

والقارئ لهذه المقامة يتفق ورأي أبي القاسم سعد الله حينما يصيب في وصفها بقوله: «إن مقامته قد ظهر عليها الطابع الأدبي القوي والعبارة المتينة، ولكنها تظل تفتقر إلى عنصر الرمز والخيال البعيد»[29]، وهي في كل الأحوال لبنة أدبية جزائرية تختص بفن المقامة الأدبية.

4. عبد الرزاق بن حمادوش (ت: 1197هـ)

أ. ترجمته

هو[30] عبد الرزاق بن محمد بن محمد المعروف بابن حمادوش الجزائري، عاش خلال القرن 12 هـ /18 ميلادي، ولد بمدينة الجزائر سنة 1007هـ/1695م، وتوفي عن عمر قارب التسعين سنة في مكان وتاريخ ومجهولين.

درس بمسقط رأسه، العلوم الشرعية واللغوية، وأخذ العلم قراءة وإجازة، كما كان مولعا بالعلوم الرياضية والطبية، واشتغال ابن حمادوش بالعلم جعله فقيرا على خلاف أسرته التي كان أفرادها من الأغنياء لامتهانهم حرفة الدباغة.

تقلد ابن حمادوش بعض الوظائف الدينية، ثم أخذ يجوب العالم الإسلامي، بدء برحلة الحج ثم المغرب الأقصى ثم المشرق العربي مرة ثانية.

عدَّ له أبو القاسم سعد الله (18) تأليفا علميا في علم الاسطرلاب وفي القوس الراصد للشمس وعلم الفلك وغيرها، بالإضافة إلى هذه الكتب العلمية، لابن حمادوش مؤلفات أخرى في الأدب والرحلة والمنطق والنحو والشعر، وباستثناء التأليفين الأخيرين، فإن جميع بقية التآليف قد ذكرها في الجزء الثاني من رحلته ومعظم هذه الكتب غير معروفة الآن وهي في حكم الضائعة، وأشهر ما بقي من تصانيفه: رحلته المسماة: "لسان المقال في النبإ عن النسب والحسب والحال".

ب. مقامات ابن حمادوش

كتب ابن حمادوش ثلاث مقامات وهو بالمغرب، أثبتت في رحلته التي دوَّنها، فأما مقامته الأولى، فقد وصف فيها متاعبه أثناء زيارتهللمغرب بمرافقة اثنين من التجار، والطريق الصعبة التي مروا بها والأخطار التي تعرضوا لها ممن يسميهم العربان، وغرائب ما شاهد أثناء الطريق، ويبتدأ ابن حمادوش مقاماته الأولى بقوله: «الحمد لله طحى بي ضيق الأسباب، وهوى الاكتساب، أخوض الغمار، لأجتني الثمار، وأقتحم الأخطار، لكي أدرك الأوطار، وكنت قد لقفت من أفواه العلماء ووصايا الحكماء إن الخطر غرور وإن المسافر مبرور، فشددت منطقتي لكي أدفع أزمنتي ورافقت اثنين من النجار...»[31]، وختم مقامته بأبيات من الشعر كان أولها:

وَلَيْلَة مُخْتَار يَبِيتُ بِهَا هَمٌّ * * * مَدَى اَلدَّهْرِ لا يُرْجَى يَحُورُ عَن اَلْهَمّ [32]

أما مقامته الثانية فهي "المقامة الهركلية" وقد وصف فيها بيتته التعسة بفندق الرحبة أحد فنادق مكناس، ووصف ما سمعه من الجلبة والضجيج ليلا وما كان من تشاجر بين رواد الفندق، وقراره بعدم العودة لذاك المكان.

ويستهلها بقوله: «الحمد لله، حدى بي حادي الرحلة إلى أن دخلت في بعض أسفاري هركلة، فنزلت بها في خان، كأنه من أبياتا لنيران، أو كنائس الرهبان، بل لا شك أنه من أبيات العصيان، فلذلك لا يسر بها لناظر، ولا ينشرح له الخاطر، فاختصصت منه بحجرة (...) حتى مد الليل جناحه، وأوقد السماء مصباحه، وهدأت الأصوات، وصرنا كالأموات. فلم يوقظني إلا جلبة الأصوات، وتداعى القينات، والتدافع بمنع وهات .. وإذا بجاري بيت، يحاسب (صاحبه) قينة على كيت وكيت، وهي تقول له فعلت كذا وكذا فعله، وتدفع أجر فعله... فقلت بُعدا لهذا الجار، ولا شك أنه بئس القرار، ولبئس الخان، كأنه حان، ثم رجعت إلى هجعتي، وتجاوزت عن وجعتي»[33].

في حين، وصف في مقامته الثالثة حالته مع الناس والدنيا والرحلة، وخسارته التجارية ودنو أجله كما قال نتيجة كل ذلك، وكان ابن حمادوش في هذه المقامة يتحدث عن شخص رمزي متعلقا به حبا -ولعله يقصد زوجه- ومع ذلك سبَّب له التعب والنكد، وختمها كالأولى والثانية بالشعر والدعاء.

والملاحظ ان ابن حمادوش لم يختلف عن غيره في اختيار المواضيع المناسبة للقص في فن المقامة على طريقة الهمذاني، وجمعه للنثر والشعر في مقاماته أيضا، إضافة إلى ارتباط مقاماته بأحداث رحلته.

5. الأمير عبد القادر الجزائري (ت: 1132هـ):

أ. ترجمته

هو[34]عبد القادر بن محيي الدين بن مصطفى بن محمد بن المختار الحسني الجزائري، أمير مجاهد، شاعر، أديب، عالم، صوفي، ولد بالقيطنة قرب معسكر بالغرب الجزائريسنة 1808م، تلقى تربيته بالزاوية التي كان يترأسها والده محي الدين، ثم أخذ العلم الشرعي والأدب العربي بوهران.

أدى فريضة الحج مع والده سنة 1241هـ ثم زار بغداد ودمشق وعاد إلى الجزائر، وفي سنة 1833م بعد استيلاء الفرنسيين على الجزائر بايعه الشعب وولاه القيادة والقيام بأمر الجهاد، وخلع عليه لقب الإمارة فنهض وقاتل الفرنسيين وخاض عددا من المعارك ضدهم مما حدا بفرنسا إلى طلب عقد معاهدة صلح معه سنة 1834م وتفرغ أثناءها للإصلاح الداخلي.

ونقضت فرنسا المعاهدة سنة 1835م فخرج الأمير بقواته وحاصر جيوشها، واستمرت الحرب بين الطرفين حتى عام 1847مإلى أن ضعف أمر الأمير عبد القادر وحوصر، فاشترط شروطاوقبلتها فرنسا، ثم نفي إلى طولون ومنها إلى انبواز، ثم توجه إلى سورية حيث استقر بدمشق إلى حين وفاته.

له "ذكرى العاقل" و"رسالة في العلوم والأخلاق"، و"المواقف"، و"ديوان شعر"، و"المقراض الحاد لقطع لسان الطاعن في دين الإسلام من أهل الباطل والإلحاد".

ب. مقامة الأمير عبد القادر الجزائري

لم يضع الأمير عنوانا لمقامته، وإنما أسماها (شبه مقامة) وتنقسم إلى قسمين، أولها نثري، وثانيها شعري بلغت عدد أبياته الشعرية (171) بيتا شعريا.

تحدث فيها بنبرة صوفية عن الفتح الإلهي الذي يمن الله به على عباده الصالحين، مما جاء فيها: «حضرت محاضرة من محاضرات الشرفا، ومسامرة من مسامر الظرفا، في ناد من أندية العرفا،، فجاؤوا في

سمرهم بكل طرفة غريبة، ومستظرفة عجيبة، وكان الحديث شجونا، أولانا وفنونا، إلى أن تكلم عرّيف الجماعة، ومقدم أهل البراعة...»[35].

ومما قاله شعرا في مقامته[36]:

فَلَو رَأَيْتَ اَلَّذِي شَاهَدَتُ عَلَنًا * * * لَكُنْتَ تَعْذِرنَا إِذَنْ أَعَاذِلُنَا

كُنْتَ تَعْلَمُ كَيْفَ اَلْأَمْرُ مُتَّضِحٌ * * * وَكَيْفَ قُلْنَا اَلَّذِي قُلْنَا وَقِيلَ لَنَا

يبدو من خلال تتبع مقامة الأمير أنها تشابهت مع المقامة البديعية في الشكل الفني بلغة وأسلوب لا يختلف عم عهدناها في المقامات، إلا أن «الارتباك واضح في الرواية والبطل حيث وزَّع الكاتب الأدوار بشكل اعتباري غير ناضج بين عريف الجماعة كشخصية دينية صوفية تخلفها في الدور شخصية عصام التي تنسحب حسب السياق عن شخصية الأمير عبد القادر التي بدت أكثر عزما وإصرار»[37]، وعليه فلم يشهد فن المقامة في أدبنا العربي بالجزائر تطورا ملحوظا خلال هذا القرن.

6. محمد بن عبد الرحمن الديسي (ت: 1339م):

أ. ترجمته

هو[38]محمد بن عبد الرحمن الديسي مقرئ، نحوي، متكلم، أصولي، فقيه مالكي، ولد في قرية الديس الواقعة بجنوب الجزائر. نشأ يتيما وتعلم في بلده، ثم انتقل الى زاوية الهامل وأخذ عن مؤسسها، ونبغ في العلوم الشرعية والعربية فولي التدريس في معهد الزاوية إلى أن توفي.

له من التواليف الكثير على شاكلة: "فوز الغانم"شرح بها منظومة الهاملي في التوسل بأسماء الله الحسنى" و"الزهرة المقتطفة "منظومة في الجمل و"القهوة المرتشفة" شرح المنظومة، و"سلم الوصول الى علم الأصول" في نظم الورقات لإمام الحرمين، و"شرح منظومة الشبراوي في النحو"،و"مقامة المناظرة بين العلم والجهل" وغيرها.

ب. مقامة الديسي:

إن ما صنفناه ضمن فن المقامة هو مناظرته التي حملت عنوان: "المناظرة بين العلم والجهل" كتبها صاحبها سنة 1314هـ، كما نصَّ على ذلك، وفيها كما يدل العنوان جدال بين لسان حال العلم ولسان حال الجهل، واستدعى ذلك الخلاف حَكما بينهما.

وها هو أديبنا ينطق العلم واصفا حاله «فقام العلم وقد شاخ وأسن، وأدركه الضعف والوهن، بادي الإعواز، يتوكأ على عكاز، في رثة حال، وأطمار وأسمال، فبسمل وحمدل، وحسبل وحوقل، وصلى وسلم، على خير من علم فعلَّم، وقال يا جهل ما أنت لخاطبي بأهل، ولا جدالي عليك بسهل، يا موت الأحيا وقليل الحيا، ويا سبب تفليس ابليس، ويا حلية كل دنيء وخسيس، كيف تكون لي أنت المجاري، والعلم صفة الباري...»[39].

إنه تعبير عن حال الوضع الثقافي بالجزائر على عهد الكاتب، بطريقة أدبية تفصح عن أهم عناصر المقامة الأدبية، كالمجلس والراوي والحكي.

الخاتمة:

كانهذارصدللتأصيلالتاريخيالأدبيلفنالمقامةفيالنثرالجزائري،وذلكببسطالحديثعنالنماذجالمؤطِّرةلهذاالفنا لنثريالأصيل، وقد خلصنا لنتائج نوردها فيما يلي:

- يعد جنس المقامة الأدبية من الفنون النثرية التي استرعت اهتمام الأدباء الجزائريين قديما، حيث ألفينا لهم مجموع مقامات كتبوها منفردة تارة وضمن أجناس أدبية أخرى تارة أخرى.

- تتفاوت المقامات المذكورة في البحث بين الجودة والضعف -وهو حكم لمن أعمل فيها النظر-، لكنها تبقى تتسم بسمات المقامة العامة كالقصر في الغالب، والحركة التمثيلية للشخصيات وانطوائها على ضروب من الثقافة، إضافة إلى الصنعة البديعية.

- تعتبر المقامات الواردة في ورقتنا البحثية مصدرا تأصيليا لفن المقامة في أدبنا الجزائري، إذ لم أبرح أتتبع آثار الكتاب في المنجز الأدبي العربي القديم بالجزائر، باحثة عن المقامات حتى جمعت منها ما أوردته، ولعل هناك مقامات أخرى لم أصل إليها، وعليه يبقى باب البحث في هذا الموضوع مفتوحا، جردا وتوسعة.

1ينظر: ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، ط3، بيروت، لبنان، 1414هـ، 701/11، 506/12.

2ينظر: شوقي ضيف، المقامة، ط 3، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1973م، 08-09، ومحمد غنيمي هلال، الأدب المقارن، ط5، دار العودة ودار الثقافة، بيروت، لبنان، 223-224.

3ينظر: عباس مصطفى الصالحي، فن المقامة بين الأصالة العربية والتطور القصصي، ط1، وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، 1984م، 13.

4ينظر: أبو منصور الثعالبي، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، تحقيق: مفيد محمد قمحية، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1403هـ1983م، 293/4.

5ينظر: بديع الزمان الهمذاني، مقامات أبي الفضل بديع الزمان الهمذاني، محمد محي الدين عبد الحميد، تقديم: شريف سيد عفت.

6مصطفى الشكعة، بديع الزمان الهمذاني (رائد القصة العربية والمقالة الصحفية) دار الرائد العربي، بيروت، لبنان 1979م، 289.

7ممن ترجم لابن محرز الوهراني حسب أهم المظان التي اهتدينا إليها: ابن خلكان، وفيات الأعيان في أنباء أبناء الزمان، تحقيق وتعليقوفهرسة: محمد مُحييالدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1367 هـ/ 1948م، 4 /19، وأبو الفلاح الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ط5، المكتبة التجارية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 252/2، خير الدين الزركلي، الأعلام، الأعلام، مطبعة كوستاتسوماس وشركاه، القاهرة، مصر، ط2، 1375هـ/ 1956م، 241/7، إسماعيل البغدادي، هدية العارفين وآثار المصنفين، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، ط3، مكتبة المثنى، بغداد، العراق، 6 /98، وعبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام ، ج1–2 ، ط4 ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1402هـ / 1982م، 319/2 – 320، ويحيى بوعزيز أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1995م، 2 /193 - 208، وغيرهم.

8 ينظر: يحي بو عزيز، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، 2 / 183.

9ابن خلكان، وفيات الأعيان، 4 / 19.

10ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، 4 / 19.

11ابن محرز الوهراني، منامات الوهراني ومقاماته ورسائله، 07.

12المصدر السابق، 219-221.

13السابق: 97-102.

14شمس الخلافة هو اسم بطل المقامة.

15ابن محرز الوهراني، منامات الوهراني ومقاماته ورسائله، المقدمة.

16المصدر السابق، 02.

17نفسه، 09.

18 نفسه، 97.

19عبد الملك مرتاض، فن المقامات في الأدب العربي، ط1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980م، 220.

20 أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، طبعة خاصة، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007م، 208/2.

21 أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1978م، 137.

22 محمد بن ميمون الجزائري، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تقديم وتحقيق: محمد بن عبد الكريم، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م.

23أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، 292/2.

24 محمد بن ميمون الجزائري، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، 111.

25المرجع السابق، 112.

26 أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، 137.

27المرجع السابق، 60/2.

28أبو القاسم سعد الله، تجارب في الأدب والرحلة، ط1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983م، 91.

29 أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، 208/2.

30 ينظر: أبو القاسم الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، وعبد الرزاق بن حمادوش الجزائري، رحلة ابن حمادوش الجزائري المسماة: "لسان المقال في النبإ عن النسب والحسب والحال" تقديم تحقيق وتعليق: أبو القاسم سعد الله، المكتبة الوطنية، ط1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983م، 9-10، وأبو القاسم سعد الله، موسوعة أعلام العلماء والأدباء العرب والمسلمين، ط1، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1426هـ/ 2005م، المجلد السابع، 206-209.

31 عبد الرزاق بن حمادوش الجزائري، رحلة ابن حمادوش الجزائري، 71.

32 المصدر السابق، 72.

33نفسه، 79.

34ينظر: إسماعيل البغدادي، هدية العارفين وآثار المصنفين، 63/1، وأبو القاسم الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، 308/2، وعادل نويهض، معجم أعلام الجزائر – من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر- ط1، 1400هـ/ 1980م، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، لبنان، 103-104، والحاج مصطفى بن التهامي، سيرة الأمير عبد القادر وجهاده، تحقيق وتعليق: يحي بوعزيز، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1995م، وشارل هنري تشرشل، حياة الأمير عبد القادر، ترجمة وتعليق وتقديم: أبو القاسم سعد الله، ط1، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2004م، وغيرها.

35 الأمير عب القادر الجزائري، كتاب المواقف في التصوف والوعظ والإرشاد، ط1، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر، دمشق، سورية، 1966م، 11.

36 المرجع السابق، 25.

37عمر بن قينة، فن المقامة في الأدب العربي خلال القرنين التاسع عشر والعشرين، مجلة كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية، 23، 2000م، 289.

38 ينظر: أبو القاسم الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، وإسماعيل البغدادي، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، 399/2، وعادل نويهض، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، 142-143.

39محمد بن عبد الرحمن الديسي، المناظرة بين العلم والجهل، مطبعة بيكار وشركائه، تونس، 03.

قائمة المصادروالمراجع:

1 - الحاج مصطفى بن التهامي، سيرة الأمير عبد القادر وجهاده، تحقيق وتعليق: يحي بوعزيز، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1995م.

2 - إسماعيل البغدادي، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، ط3،مكتبة المثنى، بغداد، العراق.

3 - أبو الفلاح الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ط5، المكتبة التجارية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

4 - أبو القاسم الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، ط1، مطبعة بيير فونتانة الشرقية، الجزائر، 1334هـ/ 1906م.

5 -أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1978م.

6 - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، طبعة خاصة، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007م.

7 - أبو القاسم سعد الله، موسوعة أعلام العلماء والأدباء العرب والمسلمين، ط1، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1426هـ/ 2005م، المجلد السابع.

8 -أبو القاسم سعد الله، تجارب في الأدب والرحلة، ط1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983م.

9 - أبو منصور الثعالبي، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، تحقيق: مفيد محمد قمحية، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1403هـ1983م.

10 - ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق وتعليقوفهرسة: محمد مُحيي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1367هـ/ 1948م.

11 - عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1402هـ / 1982م.

12 - عبد القادر الجزائري، كتاب المواقف في التصوف والوعظ والإرشاد، ط1، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر، دمشق، سورية، 1966م.

13 - ابن محرز الوهراني، منامات الوهراني ومقاماته ورسائله، تحقيق: إبراهيم شعلان ومحمد نغش، مراجعة: عبد العزيز الأهواني، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، 1387هـ/ 1968م.

14 - ابن منظور، لسان العرب، ط3، دار صادر، بيروت، لبنان.

15 - بديع الزمان الهمذاني، مقامات أبي الفضل بديع الزمان الهمذاني، قدم لها وشرح غوامضها: محمد عبده، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1426هـ/ 2005م.

16 - خير الدين الزركلي، الأعلام، ط2، مطبعة كوتساتسوماس وشركاه، القاهرة، مصر، 1375هـ/ 1956م.

17 - شارل هنري تشرشل، حياة الأمير عبد القادر، ترجمة وتعليق وتقديم: أبو القاسم سعد الله، ط1، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2004م.

18 - شوقي ضيف، المقامة، ط3، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1973م.

19 - عادل نويهض، معجم أعلام الجزائِر – من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر- ط1، 1400هـ/ 1980م، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، لبنان.

20 - عباس مصطفى الصالحي، فن المقامة بين الأصالة العربية والتطور القصصي، ط1، وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، 1984م.

21 - عبد الرزاق بن حمادوش الجزائري، رحلة ابن حمادوش الجزائري المسماة: "لسان المقال في النبإ عن النسب والحسب والحال" تقديم وتحقيق وتعليق: أبو القاسم سعد الله، ط1، المكتبة الوطنية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983م.

22 - عبد الملك مرتاض، فن المقامات في الأدب العربي، ط1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980م.

23 - محمد بن عبد الرحمن الديسي، المناظرة بين العلم والجهل، ط1، مطبعة بيكار وشركائه، تونس.

24 -محمد بن ميمون، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تحقيق وتقديم محمد بن عبد الكريم، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م.

25 - محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن، ط5، دار العودة ودار الثقافة، بيروت، لبنان.

26 - مصطفى الشكعة، بديع الزمان الهمذاني -رائد القصة العربية والمقالة الصحفية- دار الرائد العربي، بيروت، لبنان 1979م.

27 - يحيى بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1995م.